ويستبينه بعرف ذلك من قوله وشمايله هذا هو غمض الناس يقال اغمض الناس وغمط الناس
بظاد وطا غير معجمتين قال الامام رضي الله عنه الخشوع الانقياد الى الحق والتواضع هو الاستسلام
للحق وترك الاعتراض على الحكم قال الشارح رضي الله عنه قوله الخشوع الانقياد للحق يعني السكون
والقبول اذا سمع الحق من كل قايل لان الارض الخاشعه هي التي لا حركة فيها ولا نبات فعلى هذا من سمع
الحق ورجع اليه منقادا فهو من اثار الخشوع وقوله والتواضع الاستسلام للحق فان رجع الى
معرفة الحق والرجوع اليه مكان هو الانقياد بعينه وان اراد به ترك الاختيار من العبد وعدم الاعتراض
على ما يجري من الحكم وهو المعبر عنه بالاستسلام اي خضع وذل لحكم من له الحكم وهو الله تعالى فقريب
والاصل في التواضع معرفة قدر النفس وصغرها ومن اي شي كانت والى ما يؤول امرها اليه وكونها
بما بين ذلك مربوبة متعبدة مامورة منهية مطالبة بفعلها محاسبة فمعرفتها بهذه
الجملة يذلها في نفسها ويزيل عنها كبرها الذي لا يليق بها وتقبل الحق من كل قايل شريفا كان او وضيعا
صغيرا كان او كبيرا فيكون تواضعها وتذللها لما قاله القايل قال الامام رضي الله عنه وقال حذيفة
اول ما تفقدون من دينكم الخشوع وسيل بعضهم عن معنى الخشوع فقال الخشوع قيام القلب
بين يدي الحق بهم مجموع قال الشارح رضي الله عنه فقوله حذيفه اول ما تفقدون من دينكم الخشوع
يعني بذلك القلوب في عباداتها لله تعالى وقد ظهر هذا المعنى ظهورا كبيرا حتى صارت اكثر الصلوات
تجري على حكم العادة لولا كرم الله تعالى بالاكتفاء بالنيه في اول الصلاه فانه الى جملتها والعفو
عن الغفلات لما صحت لنا عبادة واليه يرجع قول بعضهم الخشوع قيام القلب بين يدي الحق بهم مجموع
وهذا هو الذي يثمر الخشوع والهدى للمعرفة بتعظيم الله تعالى والحياء من اطلاعه على العبد في
عباداته وقلة ادبه فيما يكلف بها لغفلته ومعصيته قال الامام رضي الله عنه وقال سهل بن عبد
الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان قال الشارح رضي الله عنه واذا كانت هذه الحالة
التي هي الخشوع لا تكون الا مع تعظيم الله تعالى واستشعار نظره الى العبد وكمال اشتغاله والحياء
منه لم يطمع الشيطان في اغوايه فيقترب منه كما كان الشيطان يفر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه
اذا سلك فجا سلك الشيطان غير فجه قال الامام رضي الله عنه وقيل من علامات الخشوع للعبد
انه اذا غضب او خولف او رد عليه يستقبل ذلك بالقبول قال الشارح رضي الله عنه وهذا
يدل على انه يعرف الحق لمستحقه ويرجع اليه وينقاد وقد يكون ذلك للخشوع والتواضع والصبر
وغيره قال الامام رضي الله عنه وقال بعضهم خشوع القلب قيد العيون عن النظر قال الشارح
رضي الله عنه الخشوع اذا كان عن المعرفه بالله واستشعار رؤيته للعبد قيد جميع افعال العبد
عن الوقوع في المحرمات وشغلها بانواع الطاعات قال الامام رضي الله عنه وقال محمد بن علي الترمذي
الخاشع من خمدت نيران شهواته وسكن دخان صدره واشرق نور التعظيم في قلبه فماتت
شهواته وحيي فخشعت جوارحه قال الشارح رضي الله عنه وهذا كله راجع الى كمال المعرفه

بالله

بالله تعالى وعظمته وشدة تكاليفه ومطالبته فمتى عرف العبد ذلك ذل في نفسه وانكسرت
شهوته وخمدت نيران هواه وانكسرت شهوته وخمدت نيران هواه وانكسرت جوارحه عن السعي
فيما لا يرضاه مولاه وهو المعبر عنه بخشوع جوارحه يعني هدات وسكنت وهو معنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم لمن راه يعبث في الصلاه بلحيته لو خشع قلبه هذا لخشعت جوارحه
اي لو استشعر نظر الله تعالى اليه وانه مناجيه بلسانه وحضور قلبه وانه سبحانه يسمعه ويراه
تادب في نفسه وقلبه وجوارحه واسم الخشوع ينطلق على رهبة القلب وذلته وانكساره
وعلى سكون الجوارح وانقياد العبد لما امره وانكفافه عما زجر عنه ولذلك قال يدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين قال الامام رضي الله عنه وقال الحسن الخشوع الدايم اللازم للقلب قال الشارح
رضي الله عنه وهذا مثمر الخشوع فان العبد اذا خاف من شي بعد عنه وهذا على طلبه واجتهد
في البعد منه قال الامام رضي الله عنه وسيل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام
الغيوب قال الشارح رضي الله عنه وهذا اقرب لحقيقة الخشوع وهو حد جيد يعني الخشوع في
القلب وانما تذلل لمن علمت كماله وعظمته واقتداره على نفعها وضرها فاذا امتلا القلب بهذه
المعرفة تبعتها الجوارح بالانقياد والانكسار قال الامام رضي الله عنه قال الله عز وجل وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول معناه متواضعين
متخاشعين وسمعته يقول هم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم اذا مشوا قال الشارح رضي الله
عنه اما قوله تعالى يمشون على الارض هونا اي برفق بغير تكبر ولا اعجاب وضد الكبر والعجب التواضع
وقوله هم الذين لا يستحسنون شسع نعالهم اذا مشوا يعني معجبين والا فمحض الاستحسان للثوب
والنعل قد تقدم فيه الخبر الصحيح لما سيل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ان الرجل يحب ان يكون ثوبه
حسنا ونعله حسنة هل هو من الكبر الذي هو عن العجب فلما فهم السوال وليس هو نص الخبر فاجابه
النبي صلى الله عليه وسلم بان الكبر بطر الحق وغمص الناس تدل دلالة على ان استحسان شسع النعل لا يكون
من العجب مطلقا ويحتمل ان يريد الشيخ ابو علي الدقاق بقوله لا يستحسنون شسع نعالهم اي لشغلهم
بالله تعالى ومراقبتهم له اي لا يتفرغون للشغل بامر دنياهم وكانه قال الخاشع لله لا يتفرغ لامر دنياه
ويعضد هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لو خشع قلبه لخشعت جوارحه للذي راه يعبث بلحيته
في الصلاة قال الامام رضي الله عنه واتفقوا على ان الخشوع محله القلب وراى بعضهم رجلا منقبض
الظاهر منكسر الشاهد قد زوى منكبيه فقال له يا ابا فلان الخشوع ها هنا واشار الى صدره
لا ها هنا واشار الى منكبيه قال الشارح رضي الله عنه ويحتمل ان يكون هذا الذي تخشع بظاهره
ولم يخشع قلبه عليه امارات تدل على كونه متكلفا او مراييا فلذلك نبهه على ان المراد خشوع
القلب لا تكلف الجوارح وقد بينا انه متى صح الخشوع في القلب تبعته الجوارح بالانكسار والتذلل
ويعضده ما بعده مما اورده الامام من قوله عليه السلام لو خشع قلبه لخشعت جوارحه قال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)